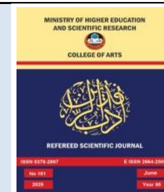


Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab/



Orientalist Thomas Arnold: A Study of His Biography and Methodology

Zahraa Kalaf Husean
Department of History /College of Arts, University of Mosul/ Mosul -Iraq

Bashar Akram Jamil
Department of History / College of Arts / University of Mosul/ Mosul -Iraq

Article Information

Article History:
Received Jan **30/2025**
Revised Feb **15/2025**
Accepted Feb **23/2025**
Available Online Sept.1/ 2025

Keywords:
Africa, orientalist,
British,
Thomas,
Preaching

Correspondence:
Zahraa Kalaf Husean
zahraa.23arp20@student.uomosul.edu.iq

Abstract

This study explores the biography and methodology of the English orientalist Thomas Arnold (1864–1930), who is regarded as one of the most prominent scholars in Islamic and Arabic studies. Arnold began his academic career in India, where he worked as a professor of philosophy at Aligarh Muslim University and was deeply influenced by Islamic culture during his time there. He later moved to London, where he held the position of Professor of Arabic and Islamic Studies at the University of London and served as the director of the Institute of Oriental Studies**.**

Arnold was distinguished by his impartial approach to the study of Islam, striving to present a balanced view of the Islamic religion and civilization, free from the biases prevalent in his era. Among his most notable works is the book The Preaching of Islam, which examines the historical spread of Islam, focusing on the issue of religious tolerance in Islamic tradition. Another significant work is The Caliphate, where he traces the history of the caliphate institution from the era of the Rightly Guided Caliphs to its abolition by Mustafa Kemal Atatürk in 1924**.**

Despite his efforts to provide a fair portrayal of Islam, Arnold's methodology was not devoid of certain biases and methodological errors, particularly in The Caliphate, where he relied heavily on orientalist sources without adequately balancing them with original Islamic sources. Nevertheless, Arnold remains one of the most influential orientalists who contributed significantly to enriching Islamic studies in the West.

DOI: 10.33899/radab.2025.157042.2308, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

المستشرق توماس ارنولد دراسة في سيرته ومنهجه

زهراء خلف حسين*   بشار اكرم جميل **

المستخلص:

تناول هذا البحث سيرة ومنهج المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد (1864-1930)، الذي يُعدُّ من أبرز المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية والعربية. بدأ أرنولد حياته العلمية في الهند، فقد عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة عليكرة الإسلامية، وتأثر بشكل كبير

* قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل / الموصل – العراق
** قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل / الموصل – العراق

بالثقافة الإسلامية في أثناء إقامته هناك. انتقل لاحقًا إلى لندن، و شغل منصب أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة لندن، وأصبح مديرًا لمعهد الدراسات الشرقية.

تميز أرنولد بمنهجه المنصف في دراسة الإسلام، فقد حاول تقديم صورة متوازنة عن الدين الإسلامي وحضارته، بعيدًا عن التحيزات التي كانت سائدة في عصره ، من أبرز أعماله كتاب "الدعوة إلى الإسلام"، الذي تناول فيه انتشار الإسلام عبر التاريخ، مع التركيز على قضية التسامح الديني في الإسلام ، ألف كتاب "الخلافة"، الذي تتبع فيه تاريخ منصب الخلافة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى إلغائه على يد كمال أتاتورك عام 1924.

رغم جهوده في تقديم صورة منصفة عن الإسلام، إلا أن منهج أرنولد لم يخلُ من بعض التحيزات والأخطاء المنهجية، ولاسيما في كتابه "الخلافة"، فقد اعتمد على مصادر استشراقية دون توازن مع المصادر الإسلامية الأصلية ومع ذلك، يبقى أرنولد من أبرز المستشرقين الذين أسهموا في إثراء الدراسات الإسلامية في الغرب.

الكلمات المفتاحية : افريقيا , مستشرق , بريطاني , توماس, الدعوة

المقدمة:

يُعدُّ الاستشراق من الظواهر الفكرية التي أثارت جدلاً واسعًا في الأوساط الأكاديمية، ولاسيما فيما يتعلق بدراسة الإسلام والشرق، ومن بين المستشرقين الذين لفتوا الانتباه بمنهجهم المختلف، يأتي توماس أرنولد (1864-1930)، الذي يُعدُّ من أبرز المستشرقين البريطانيين الذين حاولوا تقديم صورة متوازنة عن الإسلام وحضارته، يُعدُّ أرنولد من الشخصيات البارزة في مجال الدراسات الإسلامية، فقد ترك إرثًا علميًا غنيًا يتضمن العديد من المؤلفات التي تناولت جوانب مختلفة من التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي والفنون الإسلامية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة سيرة توماس أرنولد ومنهجه في دراسة الإسلام، مع التركيز على أبرز أعماله مثل كتاب "الدعوة إلى الإسلام" وكتاب "الخلافة"، سيتم تحليل منهجه العلمي، والوقوف على إيجابياته وسلبياته، فضلاً عن تأثير أعماله في الدراسات الإسلامية في الغرب.

بدأ أرنولد حياته العلمية في الهند، فقد عمل أستاذًا للفلسفة في جامعة عليكرة الإسلامية، وتأثر بشكل كبير بالثقافة الإسلامية في أثناء إقامته هناك، انتقل لاحقًا إلى لندن، فقد شغل منصب أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة لندن، وأصبح مديرًا لمعهد الدراسات الشرقية، في أثناء مسيرته العلمية، حاول أرنولد تقديم صورة متوازنة عن الإسلام، بعيدًا عن التحيزات التي كانت سائدة في عصره.

من أبرز أعماله كتاب "الدعوة إلى الإسلام"، الذي تناول فيه انتشار الإسلام عبر التاريخ، مع التركيز على قضية التسامح الديني في الإسلام. كما ألف كتاب "الخلافة"، الذي تتبع فيه تاريخ منصب الخلافة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى إلغائه على يد كمال أتاتورك عام 1924.

رغم جهوده في تقديم صورة منصفة عن الإسلام، إلا أن منهج أرنولد لم يخلُ من بعض التحيزات والأخطاء المنهجية، ولاسيما في كتابه "الخلافة"، فقد اعتمد على مصادر استشراقية دون توازن مع المصادر الإسلامية الأصلية، ومع ذلك، يبقى أرنولد من أبرز المستشرقين الذين أسهموا في إثراء الدراسات الإسلامية في الغرب.

في هذا البحث، سيتم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي تناولت سيرة أرنولد وأعماله، بما في ذلك كتاب "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي، وكتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي، فضلا عن كتابات أرنولد نفسها مثل "الدعوة إلى الإسلام" و"الخلافة"، كما ستتم الاستعانة ببعض الدراسات النقدية التي تناولت منهج أرنولد، مثل دراسة أحمد الزعبي عن انتشار الإسلام في الرؤى الاستشراقية، ودراسة فهد الهتار عن منهج أرنولد في كتاب "الخلافة."

سيتم تقسيم البحث إلى قسمين رئيسيين: الأول يتناول سيرة أرنولد وحياته العلمية، والثاني يركز على منهجه في دراسة الإسلام من خلال تحليل أبرز أعماله، وسيتم في النهاية تقديم تقييم شامل لدوره في الدراسات الاستشراقية.

من خلال هذا البحث، نأمل أن نقدم صورة شاملة عن توماس أرنولد، تسلط الضوء على إسهاماته في الدراسات الإسلامية، وتقييم منهجه العلمي في ضوء المصادر والمراجع المتاحة.

سيرة توماس ارنولد ومنهجه :

اولا : سيرته :

توماس وو كر ارنولد Thomas Walker Arnold : مستشرق انجليزي [1], ولد سنة (1280 هـ /1864 م) [2] في مدينة ديفونبورت [3] ، في انجلترا [4] ، تلقى تعليمه الاول في مدرسة بلايموث الثانوية , ثم انتقل للدراسة في مدرسة مدينة لندن سنة (1297هـ / 1880 م), وبعدها بسنتين التحق بالكلية المجدلية في جامعة كامبرج [5] , تعلم في كمبريدج وبقي لعدة سنوات في الهند عمل فيها استاذا في جامعة عليكرة سنة (1305هـ / 1888م) , واستاذا للفلسفة في لاهور [6] (1898 _ 1904) .

وهو اول من جلس على كرسي الاستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن (1321هـ / 1904 م) ثم بدأ بالترفع فقد اختير عميداً لها سنة (1339هـ /1921م) [7] , وفي بداية سنة (1348هـ/ 1930م) قام بزيارة مصر , و حاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الاسلامي وقد اظهر اعجابه بالاسلام وتضلعه في علومه وانصافه له من خلال ابحاثه عنه , فلم يترك هفوة واحدة على ماكتبه عن الاسلام في دائرة المعارف الاسلامية , كما اقترح وضع مصنف في تراثه ومارس اسمه [8] .

وهكذا نلاحظ انه قد استهوته الدراسات الشرقية , فدرس الكلاسيكيات وغيرها من المواضيع المتعلقة بتاريخ الاسلام وحضارته , ولكونه مهتما بالدراسات الاسلامية فقد اختير لتدريس مادة الفلسفة في كلية عليكرة الاسلامية , الواقعة في المقاطعات المتحدة بشمالي الهند , وقد امضى فيها عشر سنوات (1305- 1315 هـ/1888- 1898م) [9], ولهذه المدة تأثير كبير في تكوين مفاهيم توماس ارنولد عن الاسلام , وهذه الكلية هي جامعة اسلامية كبيرة في الهند قام بتأسيسها سيد احمد خان [10] من اجل الجمع بين الثقافة الاسلامية والفكر العلمي المنهجي في اوروبا , وبذلك نلاحظ مشاركة ارنولد باندفاع وحماس شديدين في هذه التجربة للتوفيق بين الاسلام والفكر الاوربي المعاصر , وبدأ يكون مجاميع من التلاميذ من مختلف الجنسيات (هنود وانجليز) لاشباعهم في هذا المجال [11] .

ومنذ شبابه , كان ارنولد معارضاً لمواقف عائلته التزمتية و انتقد في الوقت نفسه المسيحية التقليدية , واندفع نحو مفاهيم دينية اخلاقية وروحية اسمى , وان هذا التوجه اثر في رؤيته للاسلام بعد انتقاله الى الهند واحتكاكه بالمسلمين , وكانت عائلته تنتمي الى الطبقة المتوسطة , ولها صلات بالبحرية البريطانية مما اسهم في اهتمام ارنولد بالبحرية وتاريخها وهذا الانتماء لبيئة تجارية وبحرية قد جعله اكثر قدرة على التفاهم مع المسلمين مقارنة بما لو كان من خلفية كنسية او ارستقراطية [12] .

ولشدة تأثره بالدراسات الاسلامية اخذ يرتدي الزي الاسلامي سنة(1313ه/1896م) المعتاد لدى المسلمين الهنود , والف داخل كلية عليكرة جمعية تدعى (انجمن انعرض) اي جمعية الواجب , وبذلك صار اعضاؤها يسعون الى تجديد الاسلام من خلال الدمج بين الثقافة الاسلامية والفكر الاوربي الحديث [13] .

---

(1) الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين , (بيروت : 1979) ، ج2 , ص94 .
(2) مراد ، يحيى , معجم اسماء المستشرقين , دار الكتب العلمية , (بيروت : 2004) ، ص 148 .
(3) ديفونبورت : ديفون (بالإنجليزية: Devonport, Devon) هي مدينة في شمال غرب تسمانيا، أستراليا، وتُعد بوابة للوصول إلى تسمانيا عبر العبارة من ملبورن. تشتهر بشواطئها الجميلة ومناظرها الطبيعية، وتعد الزراعة والصيد من الأنشطة الاقتصادية الرئيسة. تحتوي المدينة على مرافق ثقافية وترفيهية، بما في ذلك المتاحف والمعارض الفنية , ينظر : الشبكة العنكبوتية https://ar.thetopknowledge.com/devonport-tasmania-australia , بتاريخ 9/7/ 2024
(4) بدوي ، عبدالرحمن ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط3 ، (بيروت : 1993) ، ص 9 .
(5) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص9 .
(6)لاهور: ثاني أكبر مدينة في باكستان وعاصمة إقليم البنجاب، تُعدُّ العاصمة الثقافية للبلاد, دخلت الإسلام عام (412 ه/ 1021م) على يد السلطان محمود الغزنوي , حكمتها عدة سلالات إسلامية، لكن العصر المغولي كان العصر الذهبي للمدينة، فقد اهتم المغول بتطويرها وبنوا فيها مساجد وحدائق وقصور, كانت تُعرف آنذاك بـ"دار السلطنة" وكانت العاصمة الثانية للإمبراطورية المغولية ، ينظر: ابن بطوطة , محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم , (ت 779 ه/1377 م) , تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار , اكاديمية المملكة المغربية , (الرباط : 1417 ه) , ج3 , ص 117 ؛ عبدالحفيظ , محمد علي , الكتابات الاثرية الباقية على عمائر مدينة لاهور في العصر المغولي الهندي (932-1182هـ/1526-1768م) دراسة مسحية اثارية , بحث منشور في مجلة الاتحاد العام للاثاريين العرب , العدد 10 , ص 291 .

(7) العقيقي , نجيب ، المستشرقون , دار المعارف , ط5 , (القاهرة : 2006) ج2 , ص 84 .
(8) مراد , معجم اسماء المستشرقين , ص 148 .
(9) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص9 .
(10) سيد أحمد خان : (1817-1898م) كان مفكرًا ومصلحًا اجتماعيًا هنديًا بارزًا في القرن التاسع عشر الميلادي , أسس كلية محمدية أنجلو-شرقية ، تطورت لاحقًا لتصبح جامعة عليكرة الإسلامية، بهدف توفير تعليم حديث للمسلمين , ودعا للتوفيق بين الإسلام والعلوم الحديثة وسعا الى تحسين العلاقات بين المسلمين والبريطانيين أدى دورًا هامًا في نهضة المسلمين في الهند وتطوير الفكر الإسلامي الحديث , ينظر : ياسين , سبله طلال , احمد , زينب كاظم , سيد احمد خان ودوره السياسي في الهند (1863-1898م) , بحث منشور في مجلة كلية الاداب , جامعة البصرة , العدد 22 , (حزيران : 2017م) .

(11) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 9 .
(12) الملا جاسم , ناصر عبدالرزاق , المستشرق توماس ارنولد والتحول في الدراسات الاستشراقية كتاب (الدعوة الى الاسلام) , مجلة اداب الفراهيدي , كلية الاداب , جامعة الموصل , ع (17) , كانون الاول 2013 م , ص 166.
(13) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 9 .

ذاع صيته واشتهر من خلال كتابيه الدعوة الى الاسلام والذي ترجم الى عدة لغات منها التركية والاردية والى العربية مؤخرا وكذلك كتاب الخلافة , كما انه قام بتأليف ونشر عدة كتب قيمة عن الفن والرسم الاسلامي [1], فقد كانت حياته العلمية حافلة بالبحث والتدريس والتأليف , وبذلك كان له نشاط علمي كبير على مستوى العالم من خلال تأليفه جملة من المؤلفات [2] .

وقد دون ارنولد قبل ما يقارب ثلاثين سنة بعض الملاحظات التي لم تنشر عن الاسلام في الهند إذ إنه يصنف بأنه عالم دقيق فيما يكتب , وانه اقام طويلاً في الهند , وتعرف على مسلميها وهو متعاطف مع الاسلام , وكل هذه امور ترفع اقواله فوق مستوى الشبهات , وان كان من المحتمل ان بعض العادات التي يذكرها قد اندثرت منذ زمنها [3] .

ثم عين استاذا للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور سنة (1315 هـ / 1898م) , والتي اصبحت فيما بعد جامعة لاهور, ومن ابرز من تتلمذ على يديه في هذه الكلية هو الشاعر الكبير محمد اقبال اللاهوري [4], والذي نادى بفكرة إنشاء دولة مستقلة خاصة بالمسلمين الهنود تحت اسم باكستان , وان هذه الدولة اسست بعد اعلان استقلال الهند مقسمة الى دولتين الهند وباكستان [5] .

وفي سنة (1322 هـ / 1904م) ترك ارنولد العمل في الهند وعاد الى لندن و عين استاذاً للعربية في جامعتها ثم مديراً لمعهد الدراسات الشرقية [6] , وشغل منصب نائب مدير المكتبة في الديوان الهندي في لندن , وهو مركز إداري يمثل إدارة مستعمرة الهند في ذلك الوقت , وقد قام بإنشاء منصب المستشار التربوي للطلبة الهنود في انجلترا وذلك سنة (1327هـ /1909م) , وتقديرا لجهوده المبذولة في تعليم الهنود في انجلترا منح لقب C.I.E [7] في سنة (1339هـ / 1921م) وذلك بعد ان احيل الى التقاعد في نهاية سنة 1920 [8] .ايضاً وفي سنة (1335 هـ / 1917 م) عندما اسست مدرسة الدراسات الشرقية في جامعة لندن , دعي ارنولد للتدريس فيها وكان قد اعتنى باللغة العربية والدراسات الاسلامية اجمع , وسعى ارنولد لاستمرارية دعم اللغة العربية والدراسات الاسلامية في المدرسة المذكورة حتى اصبح من المراكز الرئيسة للدراسات العربية والاسلامية [9] .

وفي مستهل سنة (1348 هـ / 1930م) قام بزيارة مصر وحاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الاسلامي [10], فقد دعته الجامعة المصرية كأستاذ زائر , وبعد ان امضى النصف الثاني من العام الجامعي (1347- 1348هـ/1929-1930م) في التدريس بقسم التاريخ في الجامعة المصرية رجع الى لندن في سنة (1348 هـ / 1930م) , وفي السنة ذاتها وفي عمر السادسة والستين توفي في منزله في كنسنجتون [11] اثر نوبة قلبية مفاجئة [12] .

وفي السنوات الاخيرة من حياته منح القابا تشريفية عديدة ففي سنة (1335هـ / 1917 م) منح لقب زميل شرفي لكلية المجدلية في كمبردج , ومن جامعة براج (تشسيكوسلوفاكيا) حصل على الدكتوراه الفخرية , كما انتخب عضواً في الاكاديمية البريطانية سنة (1344هـ /1926م) والتي كانت تعد اعلى هيئة علمية في بريطانيا انذاك [13] .

اما فيما يتعلق بإنتاجه العلمي فقد اثر انشغال ارنولد بالاعمال الادارية على محدودية انتاجه العلمي , إذ بقى كتابه (الدعوة الاسلامية) حتى عام (1338هـ / 1920 م) - اي عندما كان في السادسة والخمسين من عمره - هو العمل العلمي الوحيد المعتبر له , وقد اعيد طبع هذا الكتاب في عام (1331 هـ / 1913م) بطبعة موسعة ومنقحة [14] , وقد نال اقبالاً كبيراً من الباحثين والمفكرين , وتمت

---

(1) جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس ارنولد , تراث الاسلام , ترجمة جرجيس فتح الله , دار الطليعة , ط2 , (بيروت : 1972) , ص168.

(2) سفر , حسن بن محمد , الفقه الاسلامي من المنظور الاستشراقي : بحث نقدي حول نموذجين من المستشرقين المستشرق المجري : جولد تسيهر اجنتس (1850-1921م) المستشرق الانجليزي : السير توماس ارنولد (1864-1930م) , المؤتمر الدولي حول المستشرقون والدراسات العربية والاسلامية , ج1 , المنيا , كلية دار العلوم , جامعة المنيا ورابطة الجامعات الاسلامية ص 334.

(3) جب , هاملتون , وآخرون , دراسات في حضارة الاسلام , ترجمة احسان عباس واخرون , دار العلم للملايين , ط3 , (بيروت : 1979) , ص244 .

(4) اللاهوري , محمد إقبال : (1877-1938) كان شاعرًا وفيلسوفًا هنديًا مسلمًا من أبرز مفكري العالم الإسلامي في القرن العشرين, كتب شعره باللغتين الفارسية والأردية، وركز على إحياء الروح الإسلامية وتشجيع النهضة والتحرر من الاستعمار. كان له دور كبير في الدعوة إلى تأسيس دولة إسلامية مستقلة، مما أسهم في تأسيس باكستان. يُعدُّ "شاعر الإسلام" و"مفكر الشرق" لمساهماته في الفكر الإسلامي الحديث , ينظر : عبدالوهاب عزام , محمد اقبال (سيرته وفلسفته وشعره) , مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة , (القاهرة 2012) .

(5) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص9 .

(6) الزركلي , الاعلام , ص 94 .

(7) C.I.E : Companion of the Order of the Indian Empire , تعني زميل في وسام الإمبراطورية الهندية ، وهو وسام أنشأته الملكة فيكتوريا عام 1878 تكريماً للخدمات المتميزة المقدمة في الهند .

(8) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 9 .

(9) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 9 .

(10) العقيقي , المستشرقون , ج2 , ص 504 .

(11) كنسنجتون : (بالإنجليزية: Kensington, Kansas) هي مدينة تقع في مقاطعة سميث، كانزاس بولاية كانساس في الولايات المتحدة. تبلغ مساحة هذه المدينة 0.93 (كم²)، وترتفع عن سطح البحر 542 م، بلغ عدد سكانها 473 نسمة في عام 2010 حسب إحصاء مكتب تعداد الولايات المتحدة وتصل الكثافة السكانية فيها 507.3 نسمة/كم2, ينظر: الشبكة العنكبوتية بتاريخ 24/ 2 / 2022 https://ar.wikipedia.org .

(12) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص10 .

(13) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .

(14) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .

ترجمته الى اللغتين الاوردية والتركية , ثم الى اللغة العربية في الاربعينات [1] , وحين كان في الهند , الف كتيباً صغيراً عن المعتزلة بعنوان) (The Mutazilah سنة (1319هـ / 1902م) , الذي لايحمل قيمة علمية كبيرة , وبمناسبة سقوط الخلافة في عام (1342هـ / 1924م) , الف توماس ارنولد كتاباً بعنوان (الخلافة) (The Caliphate) الذي تناول تاريخ منصب الخلافة في الاسلام منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى الغائه عام (1342هـ / 1924م) [2] على يد كمال اتاتورك , وتبع ذلك بتلخيص لهذا الكتاب في كتيب صغير جدا بعنوان (الدين الاسلامي) (The Islamic Faith) سنة (1346 هـ/ 1928م) وجهه الى الجمهور [3] .

وكان ارنولد باحثاً مهتماً خصوصاً بدراسة الفنون والعلوم المتعلقة بالاسلام , ولديه اسهامات بارزة في هذا المجال , بدأت اهتماماته بموضوع الاضطهاد والتسامح في الاسلام , إذ كتب مقالات تناولت هذين الموضوعين ضمن موسوعة الدين والاخلاق , هذه الكتابات أسهمت في تأصيل فهم دقيق للمفاهيم الاسلامية المتعلقة بالمعاملة والرحمة والعدالة , ادى ذلك الى التفكير في تأليف كتاب موسع عن التسامح في الاسلام , لكن المشروع لم ينجز [4] .

اما في مجال الدراسات الاسلامية الهندية , فقد كتب عدة مقالات تتعلق خصوصاً بالهند الاسلامية ضمن دائرة المعارف الاسلامية , واصبح عضواً في هيئة تحرير الطبعة الانجليزية لهذه الموسوعة بدءاً من عام (1328 هـ / 1910م) [5], هذه المقالات اثرت بشكل كبير في فهم الدراسات الاسلامية الهندية وتاريخها , وان عمله في هذا السياق أسهم في تحسين المعرفة الغربية لتاريخ وثقافة الهند الاسلامية , وقد ابدى ارنولد اهتماماً خاصاً بتاريخ التصوير في الاسلام , وهو مجال قلما كان يتم التركيز عليه في الابحاث الاكاديمية في ذلك الوقت , وقد تعاون مع لورنس بنيون [6], الشاعر والناقد الفني , الذي القى خمس محاضرات عن الفن في قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة في اواخر عام (1352هـ / 1934م) , كما نشر بنيون ايضاً مجلدا بعنوان (الرسامون في بلاط المغول الكبار) (1339هـ / 1921م) تناول فيه فنون الرسم في عصر المغول [7] .

ومن اعماله الرئيسة في الفن الاسلامي (التصوير في الاسلام) سنة (1346هـ / 1928م) , هذا الكتاب يمثل دراسة متعمقة لقواعد واساليب الرسم في الفن الاسلامي , وقد قدم ارنولد فيه تحليلاً شاملاً للتقنيات والاساليب الفنية التي استخدمها الفنانون المسلمون , اما فيما يخص (الكتاب الاسلامي) سنة (1347هـ / 1929م) فقد لخص ارنولد آراءه في الفنون الاسلامية , الكتاب يعكس نتائج ابحاثه ويقدم رؤى عن كيفية تفاعل الفنون الاسلامية مع النصوص الدينية والثقافات الاخرى , اما فيما يخص آخر ماكتبه في تاريخ الفن الاسلامي فهو دراسة عن (بهزاد ورسومه في مخطوط ظفرنامه) سنة (1348هـ / 1930م) , دراسة تناولت اعمال الرسام بهزاد [8] , وهو احد اعظم الرسامين في تاريخ الفن الاسلامي , وركزت على رسوماته في مخطوط (ظفرنامه) .

وفي عام(1346 هـ / 1928م) القى ارنولد محاضرات عن العهدين القديم والجديد في الفنون الدينية الاسلامية , هذه المحاضرات تناولت كيفية تأثير النصوص الدينية اليهودية والمسيحية في الفن الاسلامي , وبعد وفاته نشرت هذه المحاضرات عام (1350هـ / 1932م) [9] .

ويبدو مما سبق أن ارنولد قد اسهم بشكل كبير في دراسة وتوثيق الفنون الاسلامية , وقدم رؤى قيمة عن تأثير الدين والثقافة في الفنون في العالم الاسلامي , وبذلك فانه أسهم بشكل كبير في اثراء المعرفة الاكاديمية لهذه المواضيع .

اذن كما ذكرنا فأن لتوماس ارنولد عدداً من المؤلفات التي قام بطبع بعضها والبعض الآخر تمت طباعته بعد وفاته , ومن اشهرها كان كتابه (الدعوة الى الاسلام) , فقد لاقى اقبالاً كبيراً وتمت ترجمته الى عدة لغات وآخرها اللغة العربية على يد حسن ابراهيم حسن وهو احد تلامذة ارنولد في جامعة لندن لمدة خمس سنوات , وكانت طبعته الاولى قد صدرت في لندن عام (1314هـ / 1896م) , وطبعته الثانية عام (1332هـ / 1913م) [10], وكان هذا الكتاب من بين الكتب التي تناولت منطقة افريقيا جنوب الصحراء وقد تم استخدام الطبعة

---

(1) العقيقي , المستشرقون , ج2 , ص84 .
(2) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(3) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(4) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(5) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(6) بنيون , لورنس : (1869-1943) كان شاعرًا وكاتبًا مسرحيًا وباحثًا فنيًا إنجليزيًا , وُلد في لانكستر ودرس في أكسفورد , عمل في المتحف البريطاني أربعين عامًا وتزوج من المؤرخة سيسيل مارغريت باول , حصل على جائزة نيوديجت للشعر عام 1891, ينظر : الشبكة العنكبوتية بتاريخ 10/ 8 / 2023 , https://ar.wikipedia.org .
(7) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(8) بهزاد , كمال الدين : مصور منمنمات بارز من هراة ، يُعدُّ من أشهر فناني المنمنمات في تاريخ الإسلام , درس الفن على يد بير سيد أحمد التبريزي وميرك نقاش , عمل مديرًا للمكتبة الملكية تحت حكم الشاه إسماعيل , بهزاد معروف بأسلوبه الفريد وإسهاماته الكبيرة في الفن الإسلامي , ينظر: عجام , انعام عيسى كاظم , جماليات الاسلوب لمنمنمات بهزاد في ملحمة الشاهنامه , بحث منشور في مجلة فنون جميلة , العدد 4 , (جامعة بابل : 2023م) ص 142 .
(9) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .
(10) مراد , معجم اسماء المستشرقين , ص 95 .

الثالثة منه والمترجمة الى العربية من قبل الدكتور حسن ابراهيم حسن وزميليه عبدالمجيد عابدين واسماعيل النجداوي في عام (1389هـ / 1970م) [1] والتي كتب مقدمتها (ر.أ.نيكلسون) (2) .

والكتاب يتكون من 521 صفحة ويحتوي في نهايته على فهرس عام , ويتألف من ثلاثة عشر بابا , تناول الباب الاول التعريف بالدين الاسلامي وسلمية الدعوة والنهي عن الاكراه , والثاني تناول حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وهجرته الى المدينة المنورة , فضلا عن اتساع رقعة الاسلام بعد الهجرة , وتناول الباب الثالث انتشار الاسلام في بلاد الشام وفلسطين , والباب الرابع تناول انتشار الاسلام بين مسيحي افريقيا كما اطلق عليه المؤلف [3] , وفي الابواب الخامس والسادس والسابع تناول المؤلف الاسلام في الاندلس وصولا الى اورب اوم [4] ثم انتشاره في بلاد فارس واواسط آسيا وترحيب السكان به , اما الابواب الثامن والتاسع والعاشر فتناول فيها ارنولد الاسلام في الهند , وبين المغول , ثم الصين ولاسيما في عهد تانج , ودولة منج ودولة منشو [5], وفي الباب الحادي عشر تناول المؤلف انتشار الاسلام في افريقيا وركز على منطقة جنوب الصحراء , و اشار الى ظهور الطرائق الصوفية فيها من تيجانية وسنوسية وقادرية , ثم وصول الاسلام الى سواحل افريقيا الشرقية والغربية , واختتم ذلك الباب بالاشارة الى دور الدعاة , اما الباب الثاني عشر فقد تناول الاسلام في ارخبيل الملايو [6] ووصوله الى سومطرة وجاوة وبورنيو والفلبين , واخيرا فقد تناول االباب الثالث عشر الدعاة المسلمين وعوامل نجاحهم [7] .

فضلاً عن ذلك الكتاب فقد نشر باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والامل للشريف المرتضى بحواش ومقدمة انجليزية (حيدر اباد 1319هـ /1902م) , وله ايضا كتاب رسامو القصر في عصر المغول العظيم (لندن 1339هـ/ 1921م) , و كتاب الخلافة والذي استسقى فيه تاريخها من مختلف العصور ووجهات نظر اصحابها القانونية والفلسفية (اكسفورد 1342 هـ /1924م) , وقد نقله الى العربية الاستاذ جميل معلى , (دمشق 1369هـ/ 1950م) والرسم في الاسلام اكسفورد (1346هـ / 1928 م) والعقيدة الاسلامية (1346هـ / 1928م) والكتاب الاسلامي (1347هـ / 1929م) وبيهزاد ورسومه في مخطوط فارسنامة (1348هـ / 1930م) والتالد والطريف في الفن الاسلامي (1350هـ /1932م) [8] .

وكان يعاونه فيما يكتبه عن الفن والرسم في الاسلام لورنس بنيون الشاعر والرسام مؤلف كتاب رسوم المغول , فكتب السير توماس مقدمته (1339هـ /1921م) ومترجم كتاب الرسم الاسلامي من القرن الثاني عشر الى القرن السابع عشر لبلوشه , فوضع السير دانيسون رؤوس مقدمته , وفهرس المنمنمات الهندية في مكتبة تشستربيتي (نشره ويلكنسون , لندن 1354هـ / 1936م) وتراث الاسلام بمعاونة الفردجيوم [9] , واربرى (لندن 1342هـ / 1924م) , اكسفورد (1349هـ / 1931م) , وقد نشر بالعربية والفرنسية والاسبانية , ولسير توماس ارنولد من الدراسات الهندوكية والاسلام في الهند (مؤتمر تاريخ الاديان 1325هـ / 1908م) والمخطوطات العربية والفارسية في امانة حكومة الهند (صحيفة الفن الهندية 1331هـ /1913م) [10] , ودراسة العربية (نشره مدرسة الدراسات الشرقية 1335هـ /1917م) ورسم الهند لمحمد والصحابة (صحيفة برلنجتون , 1337هـ/1919م) ومخطوطات رضا عباس في متحف فيكتوريا والبرت (1339هـ/1921م) ومجموعة كلود انيت , ومجموعة جونسون في مكتبة ديوان الهند (روبام , 1339هـ/1921م) ومخطوط طبي عربي من عام 707 (تكريم بروان 1340هـ/1922م) وصورة ابي الفضل (نشره مدرسة الدراسات الشرقية , (1344هـ /1926م) والرمز والاسلام (صحيفة برلنجتون 1346هـ/ 1928م) وعيسى ومريم في الفن الديني الاسلامي (مؤتمر تاريخ الاديان 1347هـ /1929م) (11)

وفيما يتعلق بكتاب تراث التصوير الاسلامي نلاحظ مدى الحزن والاسى الذي يشعر به الكاتب بشأن وفاة احد المساهمين الرئيسين في تأليف هذا الكتاب وهو توماس ارنولد الذي كان صديقا ومساهما شخصيا في الكتاب , توفي بشكل مفاجئ , مماترك الموضوع

---

(1) ارنولد , توماس . و , الدعوة الى الاسلام , ترجمة : حسن ابراهيم حسن واخرون , مطبعة , ط3 , (القاهرة : 1970) , ص 3 .

(2) نيكلسون , رينولد ألين : (بالإنجليزية: Reynold Alleyne Nicholson) (1285 - 1364 هـ / 1868 - 1945 م) هو مستشرق إنگليزي , تخصص في التصوف و الأدب الفارسي ويعدُّ من أفضل المترجمين لأشعار جلال الدين الرومي , له مقالات كثيرة في دائرة معارف الدين والأخلاق و دائرة معارف الإسلام, آرثر آربري هو أحد طلابه , ينظر: بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 593 .

(3) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 19 , 20 .

(4) اورب اوم : مدينة تقع في المانيا يقدر عدد سكانها سكانها بـ 7,842 نسمة , ينظر : الشبكة العنكبوتية بتاريخ 2022 , هومبرغ (أوم) - ويكيبيديا(wikipedia.org) .

(5) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 21 , 22 .

(6) أرخبيل الملايو : هي مجموعة من الجزر الواقعة بين جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ، ويضم جزر إندونيسيا، والفلبين، وماليزيا، وبروناي، وتيمور الشرقية. يُعدُّ الأرخبيل من أكبر الأرخبيلات في العالم من حيث عدد الجزر والمساحة، ويتميز بتنوع ثقافي وبيولوجي كبير, ينظر: بشار الجعفري , اولياء الشرق البعيد , مكتبة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر , ط1 , 2003 .

(7) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 23 .

(8) العقيقي , المستشرقون , ج2 , ص 84 .

(9) جيوم , الفرد : (1888-1963 م) مستشرق بريطاني بارز وأستاذ في اللغات الشرقية , عمل في فرنسا ومصر في اثناء الحرب العالمية الأولى، ودرّس في جامعات لندن ودورهام, من أبرز مؤلفاته: "تراث الإسلام" و"مدخل إلى علم الحديث", ينظر : الحساني , كريم جهاد , الامام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين , دراسات استشراقية , ع 15 , النجف , 2018م , ص 150 .

(10) مراد , معجم اسماء المستشرقين , ص 149 .

(11) العقيقي , المستشرقون , ج2 , ص 85 .

الذي كان يكتبه ناقصا , إذ ان الكتاب كان يهدف الى تسليط الضوء على التصوير الاسلامي , وقد كانت المعلومات التي قدمها ارنولد فريدة من نوعها في انجلترا , قرر الكاتب انه من الافضل ترك المقالة كما تركها ارنولد , بدلا من اضافة اي محتوى جديد, كما يشير النص الى جهود المؤلفين الآخرين مثل الاستاذ نيكلسون الذي ساعد في قراءة ومراجعة الفصول , ومستر كلارندن (1) الذي أسهم في الرسوم التوضيحية للكتاب , وبخصوص رأي المؤلف عن تأثير التصوير الاسلامي على التصوير الاوربي , فقد جاء في النص ان المؤلف يعتقد ان هذا التأثير ليس ذا اهمية كبيرة , وهو مايبرر قرارهم بعدم تعديل المقالة او اضافة محتوى جديد [(2)] .

ثانيا : منهجه :

أ ـ منهج توماس ارنولد في كتاب الدعوة الى الاسلام .

يُعد آرنولد من المستشرقين المنصفين نوعاً ما، يظهر ذلك جلياً من خلال منهجه في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" , و يمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية :

المنهج التاريخي والمنهج الوصفي : اعتمد المؤلف على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في سرد احداث الدعوة الاسلامية عبر مختلف أوقات تاريخ الفتوحات الاسلامية , إذ قدم المؤلف الاحداث بالتدريج بدءاً من العهد النبوي ومابعده , مع التركيز على قضية التسامح الديني واثره في انتشار الاسلام في الجزيرة العربية وخارجها.

المنهج المقارن : كذلك استخدم المؤلف المنهج المقارن , لمقارنة وسائل نشر الاسلام بتلك التي استخدمتها المسيحية , قارن بين الفتوحات الاسلامية التي كانت تستند الى التسامح واللين , ووسائل نشر المسيحية التي اتسمت بالعنف , مثلما حدث في حالة الملك اولاف (3) , الذي اجبر سكان فيكن [(4)] على اعتناق المسيحية من خلال التعذيب والنفي (5) , إذ يهدف المؤلف من خلال هذه المقارنات الى اظهار ان الاسلام انتشر في الاراضي المسيحية بسبب اخطاء رجال الدين المسيحي .

استخدام مصطلحات والفاظ جدلية : نلاحظ استخدام المؤلف مصطلحات والفاظ قد تكون جدلية بين الاسلاميين مثل مصطلح القومية الذي جعله عنوانا لمرحلة الهجرة الى المدينة في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم (6) .

الاستشهاد بالايات القرانية : كذلك حرص المؤلف على الاستشهاد بكثرة بالآيات القرانية التي تدل على سماحة الاسلام والعفو مشيراً الى الآيات برقم السور , بينما تجاهل الاشارة الى آيات الجهاد .

كذلك اعتماده على مراجع ومصادر متنوعة بما في ذلك المصادر العربية والفارسية والغربية , واستخدم بشكل مكثف المصادر الاستشراقية , موضحا في تقديم الكتاب انه استند الى مستشرقين في كل ما اشكل عليه فهمه (7) .

قلة المصادر العربية مقارنة بغيرها : وقد اتضح من خلال مراجعة ذلك قلة المصادر العربية مقارنة بالمصادر الاجنبية , فقد اقتصر على الاعتماد على بعض كتب السيرة والتاريخ مثل سيرة ابن هشام , وسيرة ابن اسحاق وتاريخ الطبري , والمسعودي , مع الاشارة اليها بإيجاز , في حين كانت معظم المراجع الاجنبية استشراقية , وإذ اشار المؤلف الى انه واجه صعوبة في جمع المصادر , لكنه اشار في الوقت ذاته الى انه استخدم مصادر ووثائق بحكم معرفته لعدة لغات (8) .

---

(1) كلارندن : هو إدوارد هايد، إيرل كلارندن الأول، رجل دولة إنجليزي في القرن الـ17 , كان مستشارًا مقربًا للملك تشارلز الثاني وأسهم في استعادة الملكية، لكنه نُفي لاحقًا بسبب الصراعات السياسية , ينظر: الشبكة العنكبوتية بتاريخ حزيران /2020 www.meisterdrucke.ae .

(2) جمهرة من المستشرقين , تراث الاسلام , ص 13 .

(3)الملك أولاف الثاني : (995-1030) المعروف أيضًا بالقديس أولاف، كان ملك النرويج وأحد قادة الفايكنغ البارزين , اشتهر بمهاراته القتالية وقيادته لجيش الفايكنغ في غزوات على فرنسا وإنجلترا , تحول إلى المسيحية في أثناء إقامته في فرنسا واعتمد في كاتدرائية روان , أصبح لاحقًا ملكًا للنرويج وسعى إلى نشر المسيحية في البلاد , توفي في معركة ستيكليستاد وأصبح قديسًا ورمزًا وطنيًا في النرويج , ينظر: موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي , مجموعة من المؤلفين , ج 10 , ص 572 .

(4) فيكن (Viken) : فيكن هي منطقة تاريخية قديمة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من النرويج، بالقرب من ساحل أوسلوفجورد (Oslofjord)، وهي تشمل أجزاء من أوسلو ومحافظات أخرى مجاورة , في العصور الوسطى، كانت فيكن منطقة مهمة للتجارة والنقل البحري، وشهدت نشاطًا قويًا في عمليات تحويل السكان إلى المسيحية على يد ملوك النرويج، مثل الملك أولاف، الذي استعمل وسائل مختلفة، منها الضغط والتعذيب، لفرض الدين المسيحي على السكان , ينظر : الشبكة العنكبوتية https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D9%83%D9%86 , بتاريخ 1 / 1 / 2020 م .

(5) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 32 .

(6) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 47 .

(7) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , مقدمة المؤلف , الطبعة الاولى , ص 10 – 11 .

(8) ارنولد , مقدمة المؤلف , الطبعة الاولى , ص 9 .

حاول المؤلف تعزيز قيمة بعض المراجع الاستشراقية من خلال تقديمها بشكل مبالغ فيه , كما في حالته مع بحث جولد تسيهر (1) عن الردة والمرتدين بعد وفاة الرسول فقد ادعى ان بحث جولد تسيهر كان الاكثر شمولاً وقيمة في هذا المجال [(2)].

الإنصاف في التقييم : يتسم آرنولد بالإنصاف عند تقييم الإسلام , في كتابه "الدعوة إلى الإسلام"، يُشير إلى أن الإسلام، منذ نشأته، كان دين دعوة، ويؤكد أنه لا ينبغي البحث عن روح الدعوة الإسلامية في قسوة بعض الاضطهادات أو تعصب بعض المحاربين المسلمين، بل يجب البحث عنها في الأساليب السلمية التي يوصي بها القرآن , يذكر عدة آيات تدعم هذا الطرح، مشيراً إلى أن النصوص القرآنية تدعو إلى الحوار والرفق, رغم أن هذا التقييم قد يبدو مذبذباً قليلاً نتيجة الاعتماد على شواهد ظنية، فإنه يعكس سعيه للإنصاف (3) .

استخدام نصوص الكتاب والسنة : يميز آرنولد نفسه عن غيره من المستشرقين الذين لم يعتبروا القرآن مصدرًا تاريخياً أو فكرياً , في مقابل ذلك ، يعمد آرنولد إلى استخدام نصوص من القرآن الكريم لتوضيح منهج الإسلام في الدعوة ، معتمداً على الآيات التي تدعو إلى الإقناع بالتي هي أحسن وتنهى عن الإكراه ، مثل قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (النحل: 125) , يعرض عدة آيات تدل على أن الإسلام يدعو إلى الدعوة بالحكمة والرفق وحرية الاختيار، ويشدد على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [(4)] , كذلك صرح المؤلف بأنه حاول ان يكون حيادياً في كتابه , كما ورد في التمهيد مشيراً الى ان الكتاب يهدف الى تسجيل جهود نشر الدعوة وليس تاريخاً للاضطهاد , ورغم ماتضمنه الكتاب من انصاف الا انه لم يكن خالياً من التحيز والدفاع عن فكرة مسبقة تبناها المؤلف [(5)] .

تسليط الضوء على التسامح الإسلامي : عند تناول مسألة انتشار الإسلام، يبرز آرنولد مسألة التسامح الذي تميز به الحكم الإسلامي. يشير إلى أن الرعايا غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي تمتعوا بمستوى من التسامح لم يكن له مثيل في أوروبا حتى في العصور الحديثة , كما يلفت النظر إلى أن وجود العديد من الفرق المسيحية في الأراضي التي كانت تحت الحكم الإسلامي لعدة قرون يعد دليلاً على هذا التسامح. يعزز رأيه بمقارنة بين تعامل الحكام المسلمين مع رعاياهم المسيحيين وبين تعامل الحكام الإسبان مع العرب والإنجليز مع اليهود (6) .

التردد حول القومية : يُلاحظ أن آرنولد يدمج بين التسامح الإسلامي والقومية بشكل غير متناسق , يزعم أن تحويل القبلة كان بداية لحياة قومية في الإسلام، ويشير إلى أن القرآن يحتوي على آيات تدعو إلى إدراك فضل اللغة العربية , إلا أن هذه الآراء تعكس تردداً في الربط بين التسامح القومي والتسامح الديني ، مما يشير إلى تأثره بالمنهج العسكري الذي استخدمه بعض المستشرقين .

تجاهل بعض وجهات النظر: يتجاهل آرنولد أحياناً السياق المعرفي السائد في عصره، مما يظهر في استدلاله ببعض آيات القرآن لإثبات أن الإسلام دين عالمي موجه لجميع البشر. يذكر أن الإسلام هو الدين السماوي الذي اختاره الله للبشرية وأوحى به عبر محمد ، آخر الأنبياء، كما أوحى به من قبل للرسل الآخرين [(7)] .

ويتضح مما سبق أن آرنولد اتبع في كتابه منهجاً ملتزماً بالإنصاف والبحث في النصوص الإسلامية لفهم منهج الدعوة ، رغم بعض الترددات والتناقضات في تقييمه .

برزت جهود ارنولد في قضية التسامح الديني في الاسلام , عبر كتابه الشهير الدعوة الى الاسلام , إذ لاقى الكتاب ترحيبا شديدا في العالم الاسلامي , لامتيازه بالاعتدال اذا ماقورن بكتابات مستشرقين آخرين , وان هذا الكتاب مخصص للنظر في انتشار الاسلام بين المسيحين , وان مافيه من مقارنه بين انتشار الاسلام , وانتشار المسيحية , عمل يدخل ضمن مقارنة الاديان (8) .

كما يلاحظ ان ارنولد لم يكتف بتبيان مواقفه من الاسلام وحقيقته في كتابه الدعوة الى الاسلام , بل اخذ يعمل على تصحيح مسار الاستشراق البريطاني بين ابناء قومه , وبشكل خاص لكونه من الرواد في نشوء نشرية مدرسة الدراسات الشرقية , وهذه النشرية شارك فيها كبار العلماء في مختلف القضايا المتعلقة بالشرق الاسلامي كونها نشرية بالغة العمق والسعة , ففي افتتاحها قد حضر حينئذ ملك بريطانيا انذاك , القى كلمة بعنوان (دراسات عربية) The Study of Arabic , وضحت طبيعة وجهات نظره واخلاقياته في التعامل

---

(1) تسيهر , إجناتس جولد : (1850-1921) كان مستشرقًا مجريًا بارزًا، ركز على دراسة الإسلام والشريعة الإسلامية , كان له تأثير كبير في الدراسات الاستشراقية، وقدم تحليلات نقدية للنصوص الدينية الإسلامية. ورغم خلفيته اليهودية، احترم الثقافة الإسلامية وأسهم بشكل كبير في فهم الغرب للإسلام , ينظر : بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 197 .

(2) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , ص 61 .

(3) المفلح , بتول عبدالرحمن , نبذة عن المستشرق ارنولد توماس , مدونة لاحدى طالبات قسم العقيدة بالجامعات السعودية , منشور على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) , بتاريخ 12/7/ 2018 .

(4) المفلح , نبذة عن المستشرق ارنولد توماس , مدونة على الانترنت .

(5) ارنولد , الدعوة الى الاسلام , مقدمة الطبعة الاولى , ص 10 .

(6) المفلح , نبذة عن المستشرق ارنولد توماس , مدونة على الانترنت .

(7) المفلح , نبذة عن المستشرق ارنولد توماس , مدونة على الانترنت .

(8) المزوري , زاهدة محمد طه , جدلية الحرية الدينية بين الاسلام والمسيحية .. نظرات في جهود المستشرق البريطاني توماس ارنولد , مقال منشور على صفحة الاتحاد , الشبكة الدولية (الانترنت) , مجلة الحوار الصادرة عن الاتحاد الكوردستاني الاسلامي , العدد 71 , جامعة دهوك , بتاريخ 2014/6/7 .

مع الشرق والاسلام , وقد اكد بدوره على قلة عناية الجامعات البريطانية بدراسة الاسلام , دراسة صحيحة , واسند ذلك الى التأثيرات التي اتبعها وقام بممارستها رجال الدين , ورغم قيام بعض الجامعات بإنجاز بحوث لتحسين صورتها الا أنه مع ذلك بقيت عدد من الكتابات قد تناولت الاسلام بطريقة تعصبية , متأثرة بأفكار رجال الدين كما ذكرنا (1) .

وهناك مسألة أخرى حررها ارنولد , وهي من المسائل الاشكالية عبر التاريخ , الا وهي الجزية , فالجزية لم تفرض كما ادعى البعض على انها نوع من انواع العقاب بسبب امتناعهم عن دخول الاسلام , بل انها كانت مقابل حماية لهم , وان اية جماعة كانت تدخل الجيش الاسلامي كانت تعفى من الضرائب (2) .

وعدَّ توماس ان مزية الاسلام هي التي جعلت من سكان المدينة يرحبون بقدوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , كذلك تحدث عن الانقلاب الذي احدثه الاسلام , وتحدث عن الصلاة ايضا وتأثيرها (3) .

ب - منهج توماس في كتاب الخلافة .

كما ذكرنا سابقا بأن مناسبة تأليف هذا الكتاب هي سقوط الخلافة العثمانية سنة (1342هـ/1924م) , إذ تتبع فيه ارنولد تاريخ منصب الخلافة في الإسلام منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى الغاء الخلافة سنة (1342هـ/1924م) على يد كمال اتاتورك [4] .

هذا الكتاب طبع باللغة الإنجليزية ، وترجم إلى العربية بواسطة "جميل معلي" وصدرت ترجمته الأولى في عام (1365هـ/1946م) عن دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر[5] , ووفقًا للمعلومات المتوفرة للباحث ، لم تُنشر طبعات أخرى منذ ذلك الحين [6] .

يحتوي الكتاب المُترجم على أربعة عشر عنواناًيدرس كل منها حقبة معينة من تاريخ الخلافة , يبدأ الكتاب بموضوع "الخلافة والإمبراطورية المقدسة" [7]، و يقارن بين نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ونظام البابوية في الفكر المسيحي، موضحًا أوجه الشبه والاختلاف بين النظامين , ثم ينتقل إلى مواضيع أخرى مثل "أصل الخلافة وألقابها" [8] , و"المؤيد الديني للخلافة" في القران والحديث [9] , يتناول الكتاب في باقي فصوله تاريخ الخلافة الإسلامية حتى سقوطها في عام (1342هـ/1924م) , ويضم في نهايته خمسة ملاحق تتناول: عقائد الشيعة والخوارج في الخلافة ، القوى الروحية المرتبطة بالخليفة، وألقاب الخليفة والسلطان العثماني [10] .

ومن الملاحظات التي تم تسجيلها على منهج ارنولد في كتابه هذا :

هناك بعض الأخطاء في الترجمة الحرفية والعديد من الأخطاء المطبعية في النسخة العربية الوحيدة [11] , وقد قام توماس بتلخيص الكتاب في كتيب صغير بعنوان "الدين الإسلامي" عام(1347ه/ 1929م) ، الذي كان موجهًا للجمهور .

قدّم الكتاب العديد من الأفكار الخاطئة عن "الخلافة"، في وقت كانت فيه محاولات هدم الخلافة نشطة , كان من أبرز تلك المحاولات دعوة ويلفريد سكاون بلنت [12] , الذي اقترح سحب الخلافة من العثمانيين وإعطائها للعرب ، وقد عرض بلنت هذه الفكرة على محمد عبده، ولكنها قوبلت بالرفض، وأسهم في تحقيق فكرة بلنت ضابط المخابرات البريطانية توماس إدوارد لورنس [13]، المعروف بلقب "لورانس

---

(1) المزوري , جدلية الحرية الدينية بين الاسلام والمسيحية , صفحات متعددة .

(2) الزعبي , احمد , انتشار الاسلام في الرؤى الاستشراقية (توماس ارنولد أنموذجا) , باحث من لبنان مختص في الدراسات الاسلامية والفكر السياسي الاسلامي , مجلة المحور , التفاهم , ص 116 .

(3) السليماني , حفيظ , الاسلام في الدراسات الغربية المنصفة , بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية , ع 6 , العتبة العباسية المقدسة , المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية , 2016 , ص 108 .

(4) بدوي , موسوعة المستشرقين , ص 10 .

(5) العقيقي , المستشرقون , ج2 / ص84 .

(6) ارنولد , توماس . و , الخلافة , ترجمة , جميل معلي , ط1 , دمشق : دار اليقضة العربية , 1946 , ص 1-6 .

(7) ارنولد , الخلافة , ص1-6 .

(8) ارنولد , الخلافة , ص 7-20 .

(9) ارنولد , الخلافة , ص 21 – 28 .

(10) ارنولد , الخلافة , ص 114 – 130 .

(11) الهتار , فهد عبدالقادر عبدالله , المستشرق توماس ارنولد ومنهجه في كتاب الخلافة , بحث منشور في مجلة القلم , جامعة القلم , مدينة اب , السنة الخامسة , ع 9 (ابريل / 2018 م

(12) بلنت , ويلفريد سكاون : هو رجل رومانطيقي ، تلقى العلم في ستونيهرست وأوسكوت والتحق بالسلك الدبلوماسيي (١٨٥٨م، وتركه عقب زواجه ١٨٦٩م، وجال في العديد من الدول العربية والإسلامية، بداية من عام ١٨٧٣م فزار إسطنبول والجزائر والقاهرة، كما طاف صحراء سوريا والصحراء العربية مع زوجته (١٨٧٧ - ١٨٧٩م) ، ثم استقر في مصر سنة ،١٨٨٠م، للتعرف على الإسلام والتمكن من أساليب العربية، وتزيا بالزي المصري، ولم يكن يتكلم الإ العربية، وقد كتب عنه روتشالين , الشرق الجديد ١٩٢٢ م , ثم هايم بعنوان : بلنت والكواكبي , الشرق الجديد ١٩٥٥ م ، له العديد من الكتب والمؤلفات منها : مستقبل الإسلام ,(لندن :١٨٨٢م) وخواطر عن الهند , (١٨٨٥) , انظر : معجم أسماء المستشرقين . مراد , يحيى ، دار الكتب العلمية , (بيروت : ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(13) توماس ادوارد لورنس : عالم آثار وضابط بريطاني اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية في أثناء الثورة العربية عام 1916 ضد الإمبراطورية العثمانية عن طريق انخراطه في حياة العرب الثوار وعرف وقتها بلورنس العرب، وقد صُور عن حياته فيلم شهير حمل اسم لورنس العرب. لاحقا كتب لورنس سيرته الذاتية في كتاب حمل اسم اعمدة الحكمة السبعة، قال عنه ونستون تشرشل: "لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة ماسة له" , ينظر : الشبكة العنكبوتية بتاريخ 8/ 6 / 2024 توماس إدوارد لورنس - ويكيبيديا(wikipedia.org) .

العرب" , فقد أقنع لورانس شريف مكة بإعلان الثورة ضد الخلافة العثمانية ، مدعيًا أن العرب أحق بالخلافة من العثمانيين [1] , وفي ظل هذه المحاولات اصدر ارنولد كتابه(الخلافة) سنة (1342هـ/1924م) , الذي احتوى مجموعة من الافكار المتعلقة بالخلافة .

وفيما يخص دوافع تأليف هذا الكتاب فقد شكّل سقوط "الخلافة" الإسلامية العثمانية على يد أتاتورك عام 1924م حافزًا قويًا لتوماس لتأليف كتابه "الخلافة" , تتبع المؤلف في هذا الكتاب منصب الخلافة في الإسلام منذ زمن الخلفاء الراشدين حتى إلغائه في عام 1924م [2] .

عززت الظروف التي مرّ بها المؤلف قبل تأليف هذا الكتاب من هذا الدافع , فقد عاش المؤلف تحت الاستعمار البريطاني في الهند ، وقد بدأت مسيرته العلمية في ظل سيطرة الاستعمار الإنجليزي على معظم أنحاء العالم الإسلامي، بما في ذلك شبه القارة الهندية , كما تقلد مناصب إدارية تهدف أساسًا إلى خدمة مصالح بلاده الاستعمارية [3] .

استغلال "تركة الرجل المريض" التي خلفها سقوط الخلافة كان جزءًا من الهدف الأساسي لتأليف الكتاب ، والذي كان يعكس خدمة المصالح الاستعمارية , من المعروف أن خدمة المصالح الاستعمارية كانت من الدوافع الأساسية للاستشراق ، الذي استخدم كأداة لتقوية الاستعمار من خلال فهم المجتمعات المستعمَرة وكشف نقاط قوتها وضعفها ، مما يساعد في إضعاف مقاومة المستعمر وبث الوهن في نفوس المستعمرين [4] .

استجابةً لهذه الحاجة ، أنشأت بريطانيا مدرسة الدراسات الشرقية (The School of Oriental Studies) في لندن عام (1335ه/1917م) ، لتزويد العقل البريطاني بمعرفة متعمقة عن الشرق , وقد كانت مؤلفات توماس جزءًا من المنهج الدراسي في هذه المدرسة [5] .

تناول موضوعات الفكر الإسلامي بما يتوافق مع المصالح الاستعمارية البريطانية , ان كتاب "الخلافة" يتناول الفكر السياسي الإسلامي ويعكس اهتمام المؤلف بأهمية فهم بريطانيا لديانة الشعوب الإسلامية ، موضحًا أن هذه الأهمية لا تتعلق فقط بالتفوق العددي، بل أيضًا بالاختلاف الجوهري بين الإسلام والمسيحية [6] .

يتميز الدين الإسلامي بتركيزه على النظم الفكرية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، في حين أن المسيحية تأثرت بشكل كبير بالنظام الكهنوتي , وقد أشار توماس آرنولد إلى أهمية إزالة التأثير الكنسي المهيمن على الأديان والذي يظهر روح العداء للإسلام [7] .

قام توماس آرنولد بتدريس مادة الفكر السياسي الإسلامي من خلال محاضراته في الهند ، وجمع تلك المحاضرات في كتابه "الخلافة" , تم نشر هذا الكتاب في سياق النقاش الدائر في العالم الإسلامي في مسألة "الخلافة"، خصوصاً بعد إلغاء كمال أتاتورك لهذا المنصب [8] .

وقد تزامن نشر الكتاب مع مطالب تجديد الخلافة في البلدان التي كانت تحت الاستعمار البريطاني مثل الهند ومصر، وهو ما عدّته بريطانيا تهديداً لمصالحها في الشرق، لاسيما أنها أدت دوراً بارزاً في إسقاط الخلافة العثمانية من خلال جاسوسها الشهير "لورانس العرب" [9] .

في كتابه "الخلافة"، اعتمد توماس على مجموعة من المصادر الإسلامية والأجنبية الاستشراقية ، لكنه وقع في العديد من الأخطاء المنهجية الجسيمة , من أبرز هذه الأخطاء : التعسف والتكلف في تفسير الآيات القرآنية ، والاجتزاء من الأحاديث النبوية وانتقاء ما يتوافق مع أفكاره المسبقة ، والاستدلال بأحاديث ضعيفة وموضوعة ، وتجاهل المصادر التاريخية لبعض الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي , فضلا عن ذلك ، اعتمد توماس على مراجع أجنبية استشراقية دون أن يوازن بينها وبين المصادر الأخرى ، مما أضفى مصداقية زائفة على ما نقله من معلومات عن قضايا الخلافة الإسلامية[10] .

---

(1) الهتار , المستشرق توماس ومنهجه في كتاب الخلافة , ص 233 .
(2)المزوري , زاهدة محمد طه محي الدين , النظرية السياسية الاسلامية في دراسات المستشرقين البريطانيين : توماس ارنولد –هاملتون جب –ان لامبتون انموذجا , رسالة دكتوراه , العراق (جامعة الموصل : 2006 م) الفصل الاول من الرسالة , ص35 .
(3) المزوري , النظرية السياسية , ص 36-37 .
(4) الهتار , المستشرق توماس ومنهجه في كتاب الخلافة , ص 234 .
(5) المزوري , النظرية السياسية , ص 35 .
(6) المزوري , النظرية السياسية , ص 35 .
(7) الهتار , المستشرق توماس ومنهجه في كتاب الخلافة , ص 234 – 235 .
(8) المزوري , النظرية السياسية , ص35-36 .
(9) المزوري , النظرية السياسية , ص 36-37 .
(10) الهتار , المستشرق توماس ومنهجه في كتاب الخلافة , ص 251 .

لم يقدم كتاب الخلافة رؤية واضحة لتاريخ الخلافة الممتد على مدى أربعة عشر قرناً، بدءاً من اجتماع السقيفة حتى سقوطها على يد أتاتورك عام 1924م , يعود ذلك إلى سببين رئيسين : الأول، اختزال المؤلف لتاريخ الخلافة بشكل مخل ، فقد عالج موضوع الخلافة في حدود 140 صفحة فقط ، مما أدى إلى تهميش حقب مهمة مثل الخلافة العباسية التي تناولها بإيجاز, الثاني، تركيزه على أفكار معينة انتقى ما يدعمها من تاريخ الخلافة [1] ، التي غالباً ما كانت تهدف إلى نقد الخلافة وتسليط الضوء على عيوبها ، وذلك من خلال استخدام أوصاف وأحكام مثل: أن الخلافة هي نظام فردي يحد من حرية الناس في اختيار الحاكم ، وأنها ابتكار فقهي استغل النصوص القرآنية لتثبيتها، وتم نقد هذه الأفكار ونتائجها بعد تحليلها ومناقشتها [2] .

خاتمة البحث:

بعد دراسة سيرة ومنهج توماس أرنولد، يمكن القول إنه كان من أبرز المستشرقين الذين حاولوا تقديم صورة منصفة عن الإسلام، بعيدًا عن التحيزات التي كانت سائدة في عصره، تميز أرنولد بمنهجه التاريخي والوصفي، فقد اعتمد على مصادر متنوعة، بما في ذلك المصادر الإسلامية والعربية، فضلا عن المصادر الاستشراقية.

من خلال كتابه "الدعوة إلى الإسلام"، نجح أرنولد في تسليط الضوء على قضية التسامح الديني في الإسلام، مقارنًا بين انتشار الإسلام والمسيحية. كما قدم في كتابه "الخلافة" تحليلًا لتاريخ منصب الخلافة، رغم ما وُجّه إليه من انتقادات تتعلق ببعض الأخطاء المنهجية والتحيزات.

رغم هذه الانتقادات، يبقى أرنولد من أبرز المستشرقين الذين ساهموا في إثراء الدراسات الإسلامية في الغرب، فقد حاول تقديم صورة متوازنة عن الإسلام، بعيدًا عن الصور النمطية السلبية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وبالتالي، فإن أعماله تظل مرجعًا مهمًا للباحثين في مجال الدراسات الإسلامية والاستشراق.

في النهاية، يمكن القول إن توماس أرنولد كان نموذجًا للمستشرق المنصف، الذي حاول فهم الإسلام من داخله، رغم ما وُجّه إليه من انتقادات، وبذلك، يبقى إرثه العلمي ذا قيمة كبيرة في مجال الدراسات الإسلامية.

References:

1. Arnold, Thomas. The Call to Islam, translated by Hassan Ibrahim Hassan and others, 3rd edition, (Cairo: 1970.(
2. Arnold, Thomas. The Caliphate, translated by Jamil Maali, 1st edition, (Damascus: Dar al-Yaqdha al-Arabiyya, 1946.(
3. Badawi, Abdul Rahman. Encyclopedia of Orientalists, Dar al-Ilm li-l-Malayeen, 3rd edition, (Beirut: 1993.(
4. A collection of Orientalists supervised by Sir Thomas Arnold, The Heritage of Islam, translated by Jirjis Fattah Allah, Dar al-Tali'a, 2nd edition, (Beirut: 1972.(
5. Al-Zirkali, Khayr al-Din. Al-A'lam, Dar al-Ilm li-l-Malayeen, (Beirut: 1979), Vol. 2.
6. Al-Zoubi, Ahmad. The Spread of Islam in Orientalist Visions (Thomas Arnold as a Model), Researcher from Lebanon specialized in Islamic Studies and Islamic Political Thought, Al-Mahwar Magazine, Al-Tafahum.
7. Safar, Hassan bin Muhammad. Islamic Jurisprudence from the Orientalist Perspective: A Critical Study of Two Orientalists, Hungarian Orientalist Goldziher Ignaz (1850-1921) and English Orientalist Sir Thomas Arnold (1864-1930), International Conference on Orientalists and Arabic

(1) ارنولد , الخلافة , ص 50-51 .
(2) الهتار , المستشرق توماس ومنهجه في كتاب الخلافة , ص 251 .

and Islamic Studies, Vol. 1, Minya, Faculty of Dar al-Uloom, Minya University, and the Union of Islamic Universities.

8. Al-Suleimani, Hafiz. Islam in Fair Western Studies, Published Research in Oriental Studies Magazine, Issue 6, Al-Ataba al-Abbasiya al-Muqaddasa, Islamic Center for Strategic Studies, 2016.
9. Al-Aqqiqi, Najib. The Orientalists, Dar al-Ma'arif, 5th edition, (Cairo: 2006), Vol. 2.
10. Murad, Yahya. Dictionary of Orientalist Names, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut: 2004.(
11. Al-Mazouri, Zahida Muhammad Taha. The Dialectics of Religious Freedom between Islam and Christianity: Reflections on the Efforts of British Orientalist Thomas Arnold, Published Research in Al-Hewar Journal, (University of Duhok, 2014.(
12. Al-Mazouri, Zahida Muhammad Taha Muhi al-Din. Islamic Political Theory in the Studies of British Orientalists: Thomas Arnold – Hamilton Gibb – Ann Lambton as Models, PhD Dissertation, Iraq (University of Mosul: 2006.(
13. Al-Mulla Jassim, Nasser Abdul-Razzaq. Orientalist Thomas Arnold and the Transformation in Orientalist Studies: The Book "The Call to Islam", Al-Farahidi Journal of Arts, College of Arts, University of Mosul, Issue (17), December 2013.
14. Al-Muflih, Batoul Abdul-Rahman. A Brief on Orientalist Thomas Arnold, Published on the internet by one of the students of the Department of Beliefs at Saudi Arabian Universities, Published in 2018.
15. Hamilton Gibb, Stanford Shaw, William Polk. Studies in Islamic Civilization, translated by Ihsan Abbas and others, Dar al-Ilm li-l-Malayeen, 3rd edition, (Beirut: 1979.(
16. Al-Hattar, Fahd Abdul-Qader Abdullah. Orientalist Thomas Arnold and His Approach in the Book "The Caliphate", Published Research in Al-Qalam Journal, University of Al-Qalam, City of Ibb, 5th Year, Issue 9 (April 2018.(